ثغور فارغة، وجيوش من العاطلين

نحن في مشهد غريب: جيوش من الناس يسألون: ما العمل؟ وثغور فارغة تشكو وتتشوق للعاملين!! ليس ثمة سؤال يواجهه كاتب أو متحدث اليوم أكثر من سؤال: ما العمل؟! سؤال ينسال في التعليقات على كل منشور، يقال بعد كل خطبة، يثار بعد كل محاضرة، يُلقى في كل ندوة ومجلس.. جمهرة الناس في حال من التيه والفراغ والحيرة، والكل يسأل: !ما العمل؟

على الجانب الآخر تنظر في كل ثغرة تحتاجها الأمة فتجد فراغا رهيبا، بداية من ثغور الجهاد التي تشكو قلة المال وقلة الرجال، وحتى ثغور العلم الشرعي التي تشكو ندرة الفقهاء والعلماء المتمرسين.. مرورا بسائر ثغور العلوم الطبيعية، والجمعيات الخيرية والمؤسسات الاقتصادية والمبادرات الأخلاقية.

وهكذا نحن في مشهد غريب: جيوش من الناس يسألون: ما العمل؟ وثغور فارغة تشكو وتتشوق للعاملين!! هو أثر طبيعي لغياب الخلافة والخليفة، فالقيادة تستطيع تجنيد الموارد وتوجيه الطاقات وجمع المتفرق، بل مجرد وجودها يجعل من أراد العمل يقصدها بتقديم ما يستطيع، أما غياب القيادة فشرٌّ وبيل، إذ هو تفرق وتشرذم وعداوات تندلع لأتفه الأسباب، ثم هو تيه وفراغ حتى لمن أراد أن يعمل، إذ لا يعرف ماذا يعمل ومن أين يبدأ وإلى أين يتوجه مع كثرة الثغور وكثرة التحديات والحاجات والضرورات. ولهذا فقد حرص الإسلام على أن ينتظم شأن المسلمين حتى في أقل أمورهم، ففي الحديث: «إذا خرج ثلاثةٌ في سفرٍ فلْيُؤمِّروا أحدُهم»

وكان هذا بداية خروجهم من الجاهلية والفوضى إلى معنى الأمة والنظام والدولة والحضارة.

الخلاصة: العمل كثير كثير كثير.. والثغور كلها تشكو الحاجة.. وكثير من العمل يمكن أن يُؤَدّى بلا مخاطرة! نعم، ليس كل من هتف: ما العمل؟ !سيعمل حين تأتيه الفرصة.. فإن ميدان القول غير ميدان العمل

: وقد قال الشاعر

إذا اشتبهت دموعٌ في خدودٍ ... تبيَّن من بكى ممن تباكى

د. محمد إلهامي.